فبدأ بقوله: [1] «وهو ما يوهم التعارض بين آياته». وهذا تعريف شديد الإيجاز، ودالٌّ دلالة صريحة على ما يراه الزركشي جوابًا إجماليا عاما لجميع المسائل الداخلة في هذا العلم، وهو أنها من قبيل الوهم «الذي قد يقع للمبتدئ» [2].

ولما بدأ بالحكم، فقد أتبعه بعرض المسلمات التي بني عليها هذا الحكم، وضمنه تعليلاً لهذه المسلمات، فقال: [3] «وكلام الله جلَّ جلاله منزه عن الاختلاف، كما قال تعالى: **﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا﴾**[4] فبيَّن لقارئه، أنه ينبغي قبل بدء البحث، التسليم بأن الاختلاف لا يقع في كتاب الله، إذ لا تعارض بين معانيه أو مقاصده أو الحقائق المذكورة فيه أو بعضها مع بعض، وعلل نفيه هذا - أي علَّل مسلمته - بسببين أولهما: أن النص كلامٌ إلهي «كلام الله جل جلاله» فأضاف «الكلام» إلى «الله» وهذا هو التعليل، واختار من صفاته سبحانه ما يرفع به هذا الكلام عن أن يكون موضع شبهةٍ واختلاف؛ صفة «الجلال» بما تدل عليه من رفعة وعظمة ومهابة.

ثم صرَّح بالسبب الثاني: وهو استناده إلى قول الله تعالى في كتابه **﴿أفلا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا﴾**[5].

وبعد توضيح هذه المسلمة كأساس ينبغي أن يبنى عليه البحث، علل الزركشي وجود الظاهرة التي اقتضت دراسة الموضوع، في عبارة موجزة كذلك، قال: [6]

---

(١) المرجع نفسه.
(٢) المرجع نفسه.
(٣) المرجع نفسه.
(٤) النساء: ٨٢.
(٥) هذا السبب يزودنا ببعض قواعد منهج علمائنا في معالجة الإشكالات التي تثيرها النصوص.
القاعدة الأولى: هي عدم تجاهل عقائدنا عند القراءة والتفسير والبحث، فالعقائد، هنا تقابل ما يطلق عليه في مناهج البحث الغربية مسلمات الباحث
القاعدة الثانية: هي عدم إغفال «الملابسات»، و«الملابسات» هنا هي أنَّ النص إلهي، فمصدر النص «المرسل» مقدَّس، عقائدنا «مسلماتنا» أنه منزَّه، لا يمكن إغفال هذا عند دراسة «الرسالة اللغوية». لأن التجاهل التام للمرسل هو تجاهل لجزء من معاني هذه «الرسالة اللغوية» ودلالاتها أي أنه اقتطاع من النص يخلُّ بمنهجية البحث.
القاعدة الثالثة: هي الرجوع إلى الاستفادة من النص في معالجة إشكالاته وسنرى استعمال هذه القاعدة واضحًا ومطَّردًا في معالجة العلماء مشكل القرآن، بل إنه «الزركشي» خصص لشرحها مسألة من باب «معرفة تفسيره وتأويله» تحت عنوان «فصل في أنَّ أحسن طرق التفسير أن يفسَّر القرآنُ بالقرآن». الزركشي، البرهان، ج٢، ص١٧٥، وقد أشرنا من قبل إلى تفسير العلامة الشنقيطي للكتاب العزيز كله، المسمى «أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن»، الذي اتبع هذا المنهج.
(٦) البرهان، ج٢، ص٤٥.